القضية الثانية

ظاهرة الإتباع فى العربية
دراسة تحليلية

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

يقصد بالإتباع ورود كلمة ثانية، أو أكثر، بعد نظيرتها الأولى على وزنها ورويِّها بهدف التأكيد، وذلك كقولهم: (فلان عَوِزٌ لَوِزٌ)، أى: مُحتاج فقير، و(رَجُل قَبيحٌ شَقيَحٌ)، و (طعام سَائِغٌ لائِغٌ، وسَيِّغٌ، لَيِّغٌ). ويقولون أيضاً: (حارٌّ يارٌّ جارٌّ)، و (رَجُل حَرَّانُ يَرَّانُ جرَّانُ)، أى نزلت به نازلة.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الإتباع فى العربية، وبيان علة اللجوء إليها فى الكلام، مع التعرُّض لهذه الظاهرة فى القرآن الكريم والشعر العربى والأقوال والأمثال. ويبيِّن البحث ما حدث فى اضطراب فى فهم الإتباع، ويدرس ما يحدث من تغيير فى بنية الكلمة أو فى الحركات والضمائر، جَرَّاء تحقق هذه الظاهرة، سواء أكان ذلك على مستوى السياق أم فى إطار الكلمة الواحدة.

ويعتمد هذا البحث من حيث المادة اللغوية على ما حوته المكتبة العربية من مؤلفات كان موضوعها هذه الظاهرة، مثل (كتاب الإتباع) لأبى الطيب اللغوى (ت ٣٥١هـ)، و (الإتباع والمزاوجة) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، إضافة إلى الكثير من الكتب التى عالجت هذه القضية فى ثنايا ما تناولته من موضوعات، مثل: (الأمالى) لأبى على القالى (ت ٣٥٦هـ)، و(المخصص) لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، و(المزهر) للسيوطى (ت٩١١هـ). وعرج البحث أيضاً على ما ورد فى المعاجم العربية متصلاً بهذه الظاهرة.

وقامت هذه الدراسة على المنهج الوصفى المبنى على التحليل والتأصيل، وقسمتُها إلى ما يلى:

أولاً: ظاهرة الإتباع: الشروط والصور.

ثانياً: اللهجات وظاهرة الإتباع.

ثالثاً: الاضطراب فى ظاهرة الإتباع.

رابعاً: التغيير فى بناء الكلمة التابعة.

خامساً: الإتباع فى القرآن الكريم.

سادساً: الإتباع النحوى.

سابعاً: الإتباع فى الضمائر والحركات والحروف.

ومن الدراسات التى عُنيت بظاهرة التجاور بين الألفاظ ما قام به د. فكرى محمد سليمان فى دراسته (أثر الجوار فى المستويات اللغوية)، مجلة علوم اللغة – العدد الثانى ٢٠٠٤م، حيث دَرَسَ أثر الجوار فى المستويات اللغوية الثلاثة: الصوتى، والصرفى، والنحوى.

وبعد:

فتلك هى بضاعتنا، وذاك هو جهدنا، وغايتنا أن نكون قد وُفقنا فيما أقدمنا عليه، وإن لم نكن.. فحسبنا أن نظفر بأجر المجتهد.

* * *

أولاً: ظاهرة الإتباع: الشروط والصور:

الإتباع – بالتخفيف – الإدراك واللحوق، والاتِّباع – بالتشديد – اتباع الأثر أو الشيء، وقد يكونان بمعنى واحد، وهو اللحوق. والإتباع – فى الاصطلاح – "هو أن تُتْبَع الكلمة على وزنها أو رويِّها إشباعاً وتوكيداً، حيث لا يكون الثانى مستعملاً بانفراده فى كلامهم، وذلك يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون للثانى معنى، كما فى ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (النساء:٤).

والثانى: أن لا يكون له معنى، بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظا وتقويته معنى، نحو قولك: (حَسَن بَسَن)"[١].

وكانت الغاية من الإتباع تقوية الكلام وتأكيده، فقد "رُوِىَ أن بعض العرب سئل عن هذا الإتباع، فقال: هو شئ نَتِدُ به كلامنا"[٢]، أى نؤكده به.

ويجب فى الإتباع أن يكون اللفظ الثانى بمعنى الأول، على اختلافهما، ولم ينف البعض – ومنهم أبو عبيد الهروى – إمكانية تحقق هذه الظاهرة بواو العطف، إذ يقول: إننا "قلّما وجدنا الإتباع يكون بواو العطف"[٣]، ثم يعود بعدها ليؤكد أنه "إنما يكون الإتباع بغير واو"[٤]. فقوله: (قلما..) يفيد القِلَّة ولا ينفى، ففيه إثبات لجواز تحقق الإتباع بالواو، على أنه يشدد بعدها على أن الإتباع لا يكون بواو العطف، بل إن الواو تنفى – عنده – الإتباع، ويتجلى هذا فيما أورده أبو عبيد من حديث آدم عليه السلام حين قُتل ابنُه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: حَيَّاك الله وبيّاك، "فقال: وما بيَّاك؟ قيل: أضحكك. فقوله: بيَّاك: أضحكك يبين لك أنه ليس بإتباع، إنما هى كلمة أخرى"[٥].

ويتجلى هذا فى قولهم: إن (النُّوع) إتباع للجوع فى قوله: (رماه الله بالجُّوع

والنُّوع)، فيقال: رجل جَائع نائع، فلفظ نائع إتباع لجائع، "وقيل: النُّوع العَطَش.. ولو كان الجُّوع نُوعاً لم يَحْسُن تكريره... ولو كان بمعنى العطش لم يكن إتباعاً لأنه ليس من معناه... لأن الإتباع لا يكون بحرف العطف، والآخر أن له معنى فى نفسه يُنطق به مفرداً غير تابع"[٦].

فتحقُّقُ الإتباع إنما يكون إذا كان اللفظ الثانى بمعنى الأول، وألا يكون ثانى اللفظين له معنى مستقل بحيث يمكن أن يؤتى به منفرداً عن سابقه. وعند أبى على القالى أن "الإتباع على ضربين: فضرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به تأكيدًا، لأن لفظه مخالف للفظ الأول، وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول"[٧].

ومن النوع الأول قولهم: رجل وُكَلَة تُكَلَة، وصفاً للعاجز الذى يعتمد على غيره ويكل أمره إليه، ورجل وَعِق لَعِق، أى حريص جاهل، وعجوز شهلة كهلة، وشئ وتْح وَعْر، ووَتِح وَعِر، أى قليل.

ومما يكون فيه معنى الثانى غير معنى الأول، قولهم: "جائع نائع، فالنائع فيه وجهان: يكون المتمايل.. ويكون العطشانَ.. ويقولون: سادِم نادِم، فالسادم: المهموم، ويقال: الحزين، ويقال: السَّدَم: الغضب مع هَم، ويقال: غيظ مع حزن. ويقولون: تافِهٌ نافِهٌ، فالتافه: القليل، والنافه: الذى يُعيِى صاحبه"[٨].

وقد يتم الإتباع بإيراد كلمة واحدة بعد نظيرتها المتبوعة، مثل: (فلان لَجَزٌ لَصِبٌ)، أى لا يكاد يعطى شيئاً، و (رجل لَظٌّ كَظٌّ)، أى متشدد وقد يكون بمجئ كلمتين بعد الكلمة المتبوعة، مثل: (رَغْماً دَغْماً شِنَّغْماً) [٩]، و(رجل ساقِطٌ لاَقِطٌ مَاقِطٌ)، أى دنئ، و(جاء بالضلالة والتَّلالة والألالة)، و(رجل مِعَمٌ مِثَمٌ مِلَمٌ)، أى: يصلح الأمر ويقوم به، و(فلان لاَطِعٌ نَاطِعٌ قَاطِعٌ)، وهو من يمص أصابعه إذا أكل ويأكل نصف اللقمة ويرد النصف الآخر.

ومن الإتباع ما يتحقق بورود ثلاث كلمات بعد الكلمة المتبوعة، مثل: كثيرٌ بثيرٌ بَجيرٌ عَميرٌ. وقد تتعدد الكلمات التابعة؛ فيقال: إنه لكثيرٌ نَثيرٌ بَثيرٌ بَذيرٌ عَفيرٌ،

ويشار به إلى الكثرة، فكأنهم أوجدوا صلة بين كثرة الكلمات الواردة والدلالة المرادة.

وعلى الرغم من أن هدف الإتباع التوكيد، وهو الهدف ذاته الذى يتحقق من الترادف، إلا أن ثمة فرقاً بينهما، ففى الإتباع تكون الكلمة التابعة على وزن سابقتها، وقد تكون بمعناها كما قد تكون غير ذات معنى. وفيه كذلك – على رأى البعض – تجئ الكلمة الثانية بلا واو العطف. أما فى الترادف فليس من اللازم أن يكون اللفظان المترادفان بوزن واحد، ويضاف إلى ذلك أن ثانى اللفظين فيه يمكن إفراده وفصله عن سابقه، حيث إن له معنى مستقلاً.

ويختلف الإتباع عن التوكيد، على الرغم من أن البعض نظر إليهما بوصفهما شيئاً واحداً. وهذا ما دعا أبا الطيب اللغوى إلى أن يورد فى كتابه (الإتباع) ما يكون من الإتباع، منفصلاً عمَّا يجئ من التوكيد. وكان معياره فى هذه التفرقة أن أولهما لا تدخل عليه الواو، وأن الكلمة الثانية لا تفرد، وأن ثانيهما إما أن يكون بالواو، أو أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى محدد، بحيث يمكن أن تَرِدَ بمفردها.

وتختلف صور الإتباع وتتعدد على النحو التالى:

(أ) إتباع يقوم على الوصف الإيجابى، ونعنى به الوصف الطيب الحَسَن، نحو (غَضٌّ بَضٌّ)، لرقة البَشَرة والبياض، و (سَنِيعٌ فَنِيعٌ)، أى جميل فاضل.

(ب) إتباع يقوم على الوصف السلبى، ونقصد به الوصف غير المستحب، مثل : (كلام غَثٌّ نَثٌّ)، و(فلان عطشانُ نطشانُ)، و (رجل ثَفَاجَةٌ مَفَاجَةٌ)، أى أحمق.

(جـ) إتباع ينبنى على الفعل، ويكون بذكر فعل يتبعه آخر بينهما واو، مثل: (بَثَّ ونَثَّ)، و(عَاثَ وهَاثَ). و(أتيتُه فمنَّانِى وهنَّانِى).

(د) إتباع قِوامه المصادر المنصوبة بأفعال محذوفة، نحو: (جُوعاً له ونُوعاً)، و(قُبْحاً له وشُقْحاً)، و(قَبْحاً له وشَقْحاً)، و(جُوعاً يُرْقُوعاً)، و(جُوعاً دَيْقُوعاً)، أى شديد.

(هـ) إتباع يقوم على تكرار النفى، مثل: (ما له مالٌ ولا عالٌ)، و(له مالٌ لا يُسْهَى

ولا يُنْهَى)، أى لا يُحْصَى، و(مَالى فيه حَوْجَاء ولا لَوْجَاء)، أى ليس لى فيه حاجةٌ.

(و) إتباع يقوم على الدعاء بذكر الفعل، نحو: (لا بَارَكَ الله فيه ولا تَارَكَ)، و(لا قَىَّ عليكَ ولا هَىَّ)، أى: لا بأس عليك، و(ما له خَصَاهُ اللهُ وبصَاهُ). والبِصاء: الاستقصاء.

ثانياً: اللهجات وظاهرة الإتباع:

ثمة ملاحظة جديرة بالتأمل، وهى أن كثيراً من الألفاظ، التى تجئ تابعة لنظائر لها وردت أولاً، يجوز أن تكُون لغات فيها، إذ يروى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – رأى "الشُّبْرم[١٠] عند أسماء بنت عُميس، وهى تريد أن تشربه، فقال: إنه حارّ جارّ – أو قال: يارّ، وأمرها بالسَّنَا[١١]. جار ويار: إتباعان لحار، يقال: حَرَّان يَرّان"[١٢].

وقد عَلَّق الكسائى على هذا الحديث بقوله: "حارٌّ من الحرارة، ويارٌّ إتباع، كقولهم: عَطْشان نَطْشان، وجائع نائع، وحَسَن بَسَن، ومثله كثير فى الكلام، وإنما سُمى إتباعاً: لأن الكلمة الثانية إنما هى تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتكلم بالثانية منفردة، فلهذا قيل إتباع"[١٣]، وقيل: إنه يجوز أن "يكون جارّ لغة فى يارّ، كما قالوا: الصَّهَارِيج والصَّهَارِىُّ، وصِهْرِيج وصِهْرِىٌّ. وصِهْرِىّ لغة تميم. وكما قالوا: شِيرة للشجرة وحقَّروه فقالوا: شُيَيْرة... ويمكن أن يكونوا قد أبدلوا من الحاء هاء، كما قالوا: مَدَحتُه ومَدَهْتُه.. ثم أبدلوا من الهاء ياء، كما أبدلوا فى هذه وهذى، وهذا الإبدال قليل فى كلامهم"[١٤].

ويبدو أن العرب كانوا حريصين على أن يكون ثمة توافق وتناغم بين الكلمتين: التابعة والمتبوعة، فإذا قالوا (كثير) وأرادوا الإتباع، لا يقولون (بجيل) – وهو العظيم – بل يقولون: (بجير)، وهو لغة فى البجيل. ومن ذلك قولهم: "حاذق باذق، فباذق يمكن أن يكون لغةً فى باثِق.. فكأن الأصل والله أعلم أن رجلا سَقَى فأجاد وأكثر، فقيل: حاذق باذق. أى حاذق بالسقى، باثق للماء"[١٥].

ومما جاء من الإتباع – وهو لغة – قولهم: خبيث مجيث، وقد حُكى بالميم، وقيل: إنه لغة فى نجيث، بإيدال النون ميما[١٦]، ومنه قولهم "ذهب دمه خَضِراً مَضِراً، وخِضْراً مِضْراً أى باطلا، فالخَضْر: الأخضر، ويقال: مكان خَضِرٌ، ويمكن أن يكون مَضِرٌ لغة فى نَضِير"[١٧].

وعلى الرغم من أن أبا الطيب اللغوى قد صرح بأنه لم يجد فى الإتباع حرفاً أوَّلُهُ الغين[١٨] فإن ابن سيده ذَكَرَ أنه يقال: رَجُلٌ غُمْرٌ وغَمِرٌ، وهو من لا تجربة له بحرب أو أمر، ثم يقول بعد ذلك: "فلا أدرى أهو إتباع أم لغة"[١٩].

وكَوْنُ بعض الكلمات التى تأتى للإتباع لغات عند بعض القبائل يقودنا إلى تفسير نراه جديراً بالعناية، وهو أن ظاهرة الإتباع اعتمدت فى جانب منها على إيراد ألفاظ هى – فى الأصل – لهجات. ومن ذلك ما يورده أبو عبيد الهروى من حديث العباس بن عبد المطلب وحديث ابنه عبد الله فى زمزم: "لا أُحِلُّها لمُغْتَسِل، وهى حِلٌّ لشارب وبِلٌّ... وأما قوله (بلّ) فإن الأصمعى قال: كنت أقول فى (بلّ) إنه إتباع، كَقولهم: عَطْشَان نَطْشَان، وجَائِع نَائِع، وحَسَن بَسَن، حتى أخبرنى مُعْتَمِر بنُ سليمان أن (بِل) – فى لغة حمير – مباح)[٢٠]. وقال البعض: معنى (بل): شفاء، "كما يقال: بَلَّ الرجل من مرضه: إذا بَرَأ، وأَبَلَّ، واسْتَبَلَّ: إذا بَرَأ"[٢١]. وقريب من هذه الرواية ما أورده الزمخشرى من أنه يُروى أن العباس رضى الله عنه "قال فى زمزم: لا أُحِلُّها لمُغْتَسِل، وهى لشارب حِلٌّ وبِلٌّ. قيل: بل إتباع لحل، وقيل: هو المباح بلغة حِمير. وعن الزبير بن بكَّار: معناه الشفاء، من بلَّ المريض وأبل"[٢٢].

ثالثاً: الاضطراب فى ظاهرة الإتباع:

يلفت الانتباه أن ثمة اضطرابا فى بعض الأحيان حول اللفظ الثانى الذى يرد تابعاً لنظيره الأول، إذ يرى بعضهم أنه إتباع، وعند آخرين هو ليس بإتباع. فالعرب تقول: قُبْحاً له وشُقْحاً، وقَبْحاً له وشَقْحاً، وقَبِيحٌ شَقِيحٌ، ومَقْبُوحٌ مَشْقوحٌ. ويروى أن عمار بن ياسر، رضى الله عنه، سمع "رجلا يسب عائشة، رضى الله عنها، فقال له بعدما لَكَزَهُ لَكَزاتٍ: أأنت تسب حبيبة رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم؟ اقعد

مَنْبُوحاً مَقْبُوحاً مَشْقُوحاً"[٢٣]. والمنبوح: المشتوم، والمقبوح: المطرود، والمشقوح: المُبْعَد. فنجد أن الأزهرى قال: إن العرب لا تكاد تعزل الشُّقْح من القُبح، بينما أومأ سيبويه إلى أن شقيحاً فى قولهم: قبيح شقيح ليس بإتباع، فقال: وقالوا: شقيح ودميم، وجاء بالقباحة والشقاحة[٢٤].

ويتجلى هذا الاضطراب فى قول أبى الطيب اللغوى: إنهم يقولون: "رجل هَاعٌ لاعٌ، وامرأة هاعةٌ لاعةٌ: إذا كان جباناً قليل الصبر"[٢٥]. ويرفض ابن منظور أن يكون ذلك إتباعاً، فعنده "رجل لاعٌ وقوم لاعُونَ ولاعةٌ كذلك... ورَجُل هاعٌ لاعٌ: فهاع جَزُوعٌ، ولاع مُوْجَعٌ.... وليس لاعٌ بإتباع لما تقدم من قولهم: رجل لاعٌ دون هاع، فلو كان إتباعا لم يقولوه إلا مع هاع"[٢٦]. فَجَزَم بأن قولهم (لاع) ليس إتباعا؛ لأنه يأتى منفرداً، ثم يعود فيذكر أنهم يقولون: "رجل هائِعٌ لائِعٌ، وهاعٌ لاعٌ، وهاعٍ لاعٍ على القلب، كل ذلك إتباع، أى جبان ضعيف جزوع"[٢٧]، فكان فى قوله الثانى موافقاً لابن فارس الذى ذكر أنهم يقولون عن الجبان: "إنه لهاعٌ لاعٌ، وهائعٌ لائعٌ"[٢٨].

ومما جاء من الإتباع واختلف فيه أيضاً قولهم: امرأة عريضة أريضةٌ، أى كاملة وَلُودٌ، وشئ عريضٌ أريضٌ، إتباع له[٢٩]. وجاء الإتباع فى قول الشاعر.

عريضٌ أريضٌ باتَ يَيْعِرُ حَوْلَهُ وباتَ يُسَقِّينا بطونَ الثَّعالِبِ[٣٠]

وقال البعض: إن (أريضة) ليست "إتباعا لعريضة؛ لأن ابن الأعرابى حكى أرضٌ أريضةٌ – كريمة تطْرح بالنبات وتَرُبُّه، وأنشد قول الأخطل:

ولقد شَرِبتُ الخمرَ فى حَانُوتها وشَرِبتُها بأريضةٍ مِـحْلالِ[٣١]

ويقول امرؤ القيس عن المطر:

أصابَ قَطَاتَيْنِ فسال لِواهُما فوادِى البَدِىّ فانتحى للأريضِ

بلادٌ عريضةٌ وأرضٌ أريضَةٌ مَدافِعُ غيثٍ فى فضاءٍ عريضِ[٣٢]

وزعم أبو على القالى أن قولهم: قسيمٌ وسيمٌ إتباع، فالقسيم: الجميل الحَسَنُ،

والقَسَامُ: الحُسْنُ والجمال[٣٣]، و"قال الزجاج: ليس وسيم إتباعاً لقسيم، كما أن قولهم مَلِيح صَبِيح ليس صبيح فيه إتباعا لمليح، وإنما يكون اللفظ مَقْضِيا عليه بالإتباع إذا لم يكن كقولهم: عطشان نطشان؛ فنطشان لا يفصل من عطشان... فأما وسيم فقد جاء دون قسيم"[٣٤].

واختلف كذلك فى قولهم: إنَّهُ فاكٌّ تاكٌّ، وفائِك تائِكٌ، وهو يقال للأحمق[٣٥]. وحكى بعضهم شيخ فاكٌّ وتاكٌّ، "جعله بدلا ولم يجعله إتباعاً"[٣٦]. والفاكّ: الهَرِم، والأحمق. والتاك: المهزول، والأحمق.

وقد لا يكون ثمة قَطْع بالإتباع، فيقال مثلاً: بُسْرٌ ثَعْدٌ مَعْدٌ، أى رَخْص رَطْبٌ، ورُطَبَة ثَعْدَةٌ مَعْدَةٌ، أى طريَّة، ويذكر صاحب اللسان أن بعضهم يقول: (مَعْد) إتباع لا يفرد[٣٧]. كذلك أفرد (المِلْغ) – وهو الأحمق الذى يتكلم بالفحش – وهو يجئ تابعاً فى قولهم: بِلْغٌ مِلْغٌ. والبِلْغ: الأحمق البالغ فى حمقه.

ومذهب العرب فى الإتباع ألا يفرد اللفظ الثانى، بل يجئ تابعاً لنظيره الأول، لكننا نرى أن بعض الألفاظ التى تجئ تابعة قد تأتى منفردة، ومن ذلك (اليباب)، وهو الخالى الذى ليس فيه أحد، إذ يرد تابعًا فى قولهم: أرض خرابٌ يبابٌ، وهو عند الجوهرى ليس بإتباع[٣٨]. فقد أفردوا (اليباب)، وهو – عند البعض – مما يكون من الإتباع[٣٩]، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة:

كَسَتِ الرياحُ جَديدَها من تُربها ... دُقَقاً فأصبحتِ العراصُ يَبَابا[٤٠]

ويورد ثعلب فى مجالسه بيتَى ابن ميادة:

وما هجْرُ ليلى أن تكون تباعَدَتْ ... عليك ولا أنْ أَحْصَرَتْكَ شُغُولُ

ولا أن تكون النفس عنها نحيحة ... بشئ ولا أن ترتضِى ببديلِ

ويقول: "نحيحة وشحيحة واحد. أراد شحيحة ببديل. قال: "والاختيار أن يقول: شحيح نحيح، فجاء بغير الإتباع.، ولا يكون بغير الإتباع إلا قليلا"[٤١]. ويعنى بهذا أنهم يقولون فى الإتباع: رجل شحيح نحيح، أى بخيل، والنحيح: تردد

الصوت فى الجَوْف، "كأنه إذا سُئل اعتلَّ كراهة للعطاء فردد نَفَسَه لذلك. قال شيخنا: ودعوى الإتباع بناءً على أن هذه المادة لم تَرِدْ بمعنى البخل، وأما على ما حكاه المصنف من ورود النّحاحة بمعنى البخل فصوبوا أنه تأكيد بالمرادف"[٤٢].

وعند أبى الطيب اللغوى أنهم يقولون: (رجل شَحِيح نَحِيح). و(نحيح) مأخوذ "من قولهم: نَحَّ بالحِمْل وأَنَحَّ: إذا ضعف من حمله، فكأن معنى النحيح الذى يضعف قلبه عن إخراج شئ، إلا أنه لا يقال: رجل نحيح إذا كان كذلك مفرداً. إنما يستعمل مع الشحيح"[٤٣].

ومما يكون من الإتباع إلا أن ثانى اللفظين لا يستعمل مفرداً قولهم: (يوم عَكِيكٌ أكِيكٌ)، أى شديد الحر، و(رجل طَبٌّ لَبٌّ)، أى عالم[٤٤].

رابعاً: التغيير فى بناء الكلمة التابعة:

بلغ الحرص على المواءمة بين اللفظين وإحداث التجانس بينهما، بغية الوصول إلى تحقيق الإتباع إلى حدٍّ أنهم قد يُغيِّرون بناء الكلمة التابعة لتوافِق نظيرتها المتبوعة، ومنه قولهم: خبيث نبيث، والنبيث هو الذى يَنْبُثُ شَرَّه، أى يُظهره، "وكان قياسه أن يقول: خبيثٌ نابثٌ، فقيل: نبيث لمجاورته لخبيث"[٤٥]. ويقال كذلك للرجل إذا كان خسيساً فقيراً: خبيثٌ نبيثٌ، ويوصف الشئ أيضاً بأنه خبيث نبيث[٤٦]. والخبيث من الأشياء الردئ الحقير، ويروى أن الخليل سأل الأصمعى عن (الخبيث) فى قول السموأل:

ينفعُ الطَّيبُ القليلُ مِنَ الرِّزْ ... قِ ولا ينفعُ الكثيرُ الخبيثُ[٤٧]

فقال: أراد: "الخبيث. ومن لغته أن يُبْدِل الثاءَ تاء. فقال: أسأت فى العبارة، لأنك أطلقت من لغته أن يبدل الثاء تاء، فعمَّمت بالبدل، ولو كان كذلك لَلَزِمه أن يقول (الكتير) فى (الكثير)، وأنت ترويه الكثير، وإنما الجيد أن تقول: يُبْدلون الثاءَ تاء فى أحرف منها الخبيث"[٤٨].

ومن ذلك قولهم فى (حَسَن بَسَن): إنه "يجوز أن تكون النون فى بسن زائدة...

فكان الأصل فى بسن بَسَا[٤٩]..... ثم حذفت إحدى السينين وزيد فيه النون وبُنى على مثال حَسَن، فمعناه حسن كامل الحُسْن، وأحسن من هذا المذهب الذى ذكرناه أن تكون النون بدلاً من حرف التضعيف... إذْ مذهبهم فى الإتباع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد"[٥٠].

ولم يجد بعض العرب مانعاً من تغيير أحد أحرف الكلمة، حتى تتوافق مع نظيرتها الأولى، وغايتهم من ذلك الحرص على تحقق الإتباع، ومن ذلك ما يروى أن "المَلَك يأتى العبدَ إذا وُضع فى قبره، فإن كان كافراً أو منافقاً قال له: ما تقول فى هذا الرجل؟ يعنى محمداً، صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: لا أدرى، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقول: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ. أى ولا اتَّبعت الناس بأن تقول شيئاً يقولونه... وقلب الواو ياء للازدواج"[٥١]، والأصل: (ولا تَلَوْت)، أى ولا قرأت، من الفعل تلا يتلو تِلاوةً، أى: قرأ قراءة. فقال: (تليت) لِتُجانس (دريت).

وقد يكون التغيير بالتخفيف؛ إذْ يروى أن رجلا قال للنبى، صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، "(ما تركتُ من حَاجَةٍ ولا دَاجَةٍ إلا أتيتُ)[٥٢]، فهو مخفف إتباع للحَاجَة"[٥٣]، فالأصل: الدَّاجَّة، من دَجَّ يَدِجُّ إذا أسرع، و "قال ابن السكيت: لا يقال يَدِجُّون حتى يكونوا جماعة، ولا يقال ذلك للواحد. وهم الدَّاجَّة"[٥٤]. ويبدو أيضاً التخفيف فى قولهم: (الماشُ خيرٌ من لاشَ)، والماش: قُماش البيت أى ردئ متاعه، والمعنى أن "ما كان فى البيت من قماش لا قيمة له خير من بيت فارغ لا شئ فيه، فخُفِّف لا شَ لازدواج ماش"[٥٥].

ويدخل التغيير على إحدى الكلمتين إتباعاً للكلمة الأخرى، كما فى قولهم: (هَنَأَنى الطعامُ ومَرأنِى)، إذ يقال: مَرَأنى الطعامُ، كما يقال: أمْرَأنِى الطعامُ، ولكن "إذا اتبعوها هَنَأنى قالوها بغير ألف، وإذا أفردوها قالوا: أَمْرَأنِى"[٥٦]. ومنه أيضاً قولهم: (إنى لآتيه بالغدايا والعشايا)، "أرادوا بالغدايا جمع الغَداة، فأتبعوها (العشايا) للازدواج"[٥٧]. والغَداة[٥٨] تجمع على غَدَوات ولا تجمع على غَدَايَا، ولكنهم جمعوها على غدايا لتزاوج (العشايا)، ويدل على أن العلة – هنا – الإتباع،

أنهم إذا أفردوا قالوا: غدوات[٥٩]. و"كان – صلى الله عليه وسلم – ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة أخواتها... كقوله صلى الله عليه وسلم ... أعيذه من الهامة والسامة، وكل عين لامة، وإنما أراد ملمة. وقوله – عليه السلام... ارجعن مأزورات غير مأجورات، وإنما أراد موزورات من الوزر، فقال: مأزورات لمكان مأجورات، قصداً للتوازن وصحة التسجيع"[٦٠]. ومن ذلك قولهم للشجاع: هو أهيس أليس، والأصل فى أهيس: أهوس: بالواو، فلما أرادوا الازدواج والإتباع قلبوا الواو ياء[٦١].

وقد تُغير بنية الفعل حتى يتوافق مع فعل آخر سبقه، فيجئ على وزنه إتباعاً له، كما فى قولهم: (أخذنى ما قَدُمَ وما حَدُثَ)[٦٢]؛ إذ "لا يضم حَدُث فى شئ من الكلام إلا فى هذا الموضع، وذلك لمكان قَدُم، على الازدواج"[٦٣]، ولو لم يُقرن لقيل: حَدَث، من قولهم: حَدَثَ الشئُ يحدُث حُدُوثاً وحَدَاثَة.

وقد يكون التغيير فى غير الفعل، كما فى كلمة (نجس)، فيوصف الشئ أو الإنسان، فيقال: هو نَجْس، ونِجْس، ونَجَس، ونَجِس، ونَجُس، وهو ضد الطاهر، "وقال الفراء: إذا قالوا النجس مع الرِّجْس أتبعوه إياه، فقالوا: رِجْس نِجْس بالكسر، وإذا أفردوه قالوا: نَجس بالفتح: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[٦٤] (التوبة: ٢٨). ويماثل ذلك قولهم: (جاء بالطِّمِّ والرِّمِّ)، إذ "كَسَرُوا الطِّم إتباعاً للرِّم، فإذا أفردوا الطَّم فتحوه"[٦٥]. ويقولون كذلك: "تَعْساً له ونَكْساً. وإنما هو نُكس بالضم، وإنما فتح هنا للازدواج"[٦٦].

وقد تُلَيَّن الهمزة فى الكلمة بغية تحقيق الازدواج فى العبارة، ومنه قولهم: (فلان من رَطَاتِهِ لا يعرف قطاتَه من لطاتِهِ)، والرَّطَأ: الحُمْقُ، فَقَصَرَ الرَّطَاةَ إتباعاً للقَطَاة[٦٧].

خامساً: الإتباع فى القرآن الكريم:

يبدو أن الحرص على إحداث نوع من الموازنة بين اللفظين، أو الألفاظ، فى السياق، كان مواكباً لاستعمال اللغة؛ فإذا كان المتكلم يسعى إلى التأثير فى نفسية

المتلقى وإقناعه بما يقول فإن هذه المجانسة بين الألفاظ تعد وسيلة مهمة من وسائل تحقيق هذا الهدف. وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تتحقق فيها هذه الظاهرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (الضحى: ١، ٢)؛ إذ يُكتب الفعل فى المصحف بالياء، وهو واوى، فيقال: سجا يسجو، أى سكن يسكن. ومنها قوله عز وجل: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ ﴾ (النساء: ٩٠)، فـ "اللام فى (لسلطهم) جواب (لو)، واللام فى (لقاتلوكم) تأكيد لجواب (لو) فى (لسلطهم)، لأنها حُوذِيَتْ بها، وإلا فالمعنى: فسلطهم عليكم فيقاتلوكم، فزيدت للمحاذاة والازدواج، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ (النمل: ٢١)، فاللامان فيهما لاما قسم. واللام فى (ليأتينى بسلطان مبين)، ليس بلام قسم.. إلا أنه لما أتى به فى إثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه، فكذلك اللام ههنا، لما أتى به فى إثر جواب (لو) وقرنه به أجراه مجراه، فأتى باللام تأكيداً له، وهذا النحو يسمى المحاذاة"[٦٨].

ويقصد بهذه المحاذاة أن يؤتى بكلام على مثال كلام سابق، فيوافقه بنية ولفظا، وقد يخالفه معنى، أو هى "أن تجعل كلاماً ما بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظا، وإن كانا مختلفين"[٦٩].

ومما يدخل فى هذا الباب ويجرى مجراه التعبير عن الشئ بلفظ يماثل لفظا سبقه ويشاكله، إلا أنهما يختلفان فى المعنى. وقد سمَّى بعضهم هذه الظاهرة (المشاكلة)، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٥٤)، وقوله جل شأنه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ (الشورى: ٤٠)، فأسند المكر إليه سبحانه ووُصف الجزاء بأنه سيئة. ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٩٤)، وقوله: ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ (البقرة: ١٤، ١٥)، فوُصف جزاء الاعتداء بأنه اعتداء، وجُعلت مقابلة الاستهزاء استهزاء[٧٠].

وقد يتحقق الإتباع فى القراءات القرآنية عن طريق تغيير حركة الحرف الأخير فى

كلمة سابقة كى تماثل حركة الحرف الأول فى كلمة تالية لها، ويبدو ذلك فى قوله تعالى: (الحمدِ لله رَبِ العَالَمِينَ) (الفاتحة:٢)؛ إذ كسرت دال (الحمد) إتباعاً لكسرة اللام فى (لله)، "وهو ضعيف فى الآية، لأن فيه إتباعَ الإعرابِ البناء، وفى ذلك إبطال للإعراب"[٧١]. وقد ينعكس الأمر، فيكون الإتباع بتغيير حركة الحرف الأول من الكلمة التالية إلى حركة من جنس حركة الحرف الأخير من الكلمة السابقة، ويتجلى ذلك فى قراءة من قرأ (الحمدُ لُـلَّه)، "بضم الدال واللام على إتباع اللام الدال، وهو ضعيف أيضاً، لأن الجر متصل بما بعده، منفصل عن الدال... إلا أن منْ قرأ به فَرَّ من الخروج من الضم إلى الكسر، وأجراه مجرى المتصل، لأنه لا يكاد يستعمل الحمد منفرداً عما بعده"[٧٢]، وكلاهما – كما يرى ابن جنى – شاذ فى القياس والاستعمال، "إلا أن (الحمدُ لُـلَّه)، بضم الحرفين، أسهل من (الحمدِ لِـله)، بكسرهما[٧٣]. وعلة ذلك – فى رأيه – ترجع إلى سببين:

أولهما: أنه يجب فى الإتباع أن يكون الثانى تابعاً للأول، فالسبب أسبق رتبة من المسبَّب، وهذا أقيس من أن يكون الأول تابعاً للثانى؛ ولذا كان (الحمدُ لُـلَّه)، بضم الدال واللام، أسهل مأخذا من (الحمدِ لِـلَّه)، بكسرهما.

"والآخر: أن ضمة الدال فى (الحمدُ) إعراب، وكسرة اللام فى (لِـلَّه) بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: (الحمدُ لُلَّـه) فقريب أن يغلب الأقوى الأضعفَ، وإذا قلت: (الحمدِ لِلَّـه) جنى البناءُ الأضعف على الإعراب الأقوى"[٧٤].

وقد يكون الإتباع غير لازم، وفيه تتبع الكلمة السابقة نظيرتها اللاحقة، فتغير حركة حرف فى الأولى إتباعاً لحركة حرف فى الأخرى، كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ ﴾ (يوسف: ٣١)، بضم التاء فى (قالت) إتباعاً لضمة راء (اخرُج)، ونحو قوله عز وجل: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، إذ ضمت نون (لكِن) لضمة الظاء فى (انظر)[٧٥].

وقد تغير حركة الحرف التالى فى الكلمة إتباعاً لحركة حرف سابق، ومنه قوله

تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ (آل عمران: ١٢٠)، فقد ضُمَّت "الراء إتباعا لضمة الضاد، كقولك: لم يرُدُّكم، والأصل: يضرُرْكم، فألقيت ضمة المِثل الأول على الساكن قبله، وحُرِّك الثانى بالضم إتباعا للضمة قبله، فلما حُرِّك الثانى وقد سكن الأول وجب الإدغام"[٧٦].

سادساً: الإتباع النحوى:

إذا كان الإتباع اللغوى ينبنى على الإتيان بلفظ بعد نظير له، على وزنه ورويِّة بلا واو عاطفة، بهدف التأكيد وإحداث نوع من المزاوجة بين اللفظين، فإن الإتباع النحوى يقوم على إتباع اللفظ الثانى الأول فى الإعراب، فيكون بدلاً منه. ويتضح ذلك فى الاستثناء المتصل[٧٧] الذى يقع فيه المستثنى بإلا بعد المستثنى منه فى كلام يشتمل على النفى أو شبه النفى[٧٨]؛ إذ يجوز إتباعه لما قبله فى الإعراب[٧٩]، وهو الأوْلى، كما فى قوله تعالى: ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ (النساء:٦٦)، فـ (قليل) بدل من (الواو) فى (فعلوه)، وفى قوله عز وجل: (وَلاَ يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ إِلا آمرَأَتَكَ) (هود: ٨١)، بالرفع، وهى قراءة أبى عمرو وابن كثير، فتكون (امرأتك) بدلاً من (أحد)[٨٠]، "على معنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها ستلتفت... وقرأ الباقون:﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾، جعلوها استثناء من قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾[٨١]. وإذا طال الفصل بين المستثنى منه والمستثنى فى الجملة وجب النصب، وهو ما اختاره ابن مالك "فى المتراخى، نحو: ما ثبت أحد فى الحرب ثباتا نفع الناس إلا زيدا، ولا تنزل على أحد من بنى تميم إن وَافَيْتَهُم إلا قيسا. قال: لأنه قد ضعف التشاكل بالبدل لطول الفصل بين البدل والمبدل منه"[٨٢].

ومن الإتباع أيضاً ما يكون فى الاستثناء المنقطع[٨٣]، بعد نفى أو شبهه، إذ أجاز بنو تميم الإتباع[٨٤] فى مثل قولك: ما حضر الناسُ إلا حصانٌ. ما رأيت الناسَ إلا حصاناً. ما مررت بالناسِ إلا حصانٍ. ومنه قول الشاعر:

وبلدةٍ لَيْسَ بها أنيسُ إلا اليَعَافيرُ وإلا العِيسُ[٨٥]

ومما يكون من الإتباع ما يسمى (الإتباع على المحل، أو على الموضع)، وهو ما يسميه سيبويه" (باب ما حُمِلَ على موضع العامل فى الاسم)، لا على ما عمل فى الاسم، ولكن الاسم وما عمل فيه فى موضع اسمٍ مرفوع أو منصوب. وذلك قولك: ما أتانى من أحدٍ إلا زيدٌ، وما رأيت من أحدٍ إلا زيداً"[٨٦]، فـ (زيد) مرفوع على البدلية من محل (أحد)؛ إذ محله الرفع لأنه فاعل، و (مِنْ) حرف جر زائد. كذلك فإن (زيدا) فى التركيب الثانى منصوب على البدلية من محل (أحد)، ومحله النصب لأنه مفعول به. و(مِنْ) فى الحالين دخلت للتأكيد. ويماثل ذلك قولهم: ليس زيد بشئ إلا شيئاً لا يعبأ به – باعتبار أن (بشئ) فى موضع نصب عند الحجازيين – إذْ يتبع ما بعدها (إلا) فى الإعراب موضع المستثنى منه.

ومما حمل على المحل أو الموضع أيضاً قولك: "ما أتانى غيرُ زيدٍ وعمرٌو. فالوجه الجر. وذلك أنَّ غير زيد فى موضع إلا زيدٌ وفى معناه، فحملوه على الموضع... فلما كان فى موضع إلا زيدٌ وكان معناه كمعناه، حملوه على الموضع. والدليل على ذلك أنك إذا قلت غيرُ زيد فكأنك قد قلت: إلا زيدٌ. ألا ترى أنك تقول: ما أتانى غيرُ زيدٌ وإلا عمرٌو، فلا يَقبحُ الكلام، كأنك قلت: ما أتانى إلا زيد وإلا عمرو"[٨٧]، وقد سمّى سيبويه هذا الإتباع (باب ما أُجرى على موضع غير لا على ما بعد غير).

وثمة نوع من الإتباع، وهو الإتباع على المجاورة، كما فى قولهم: "هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم. وهو القياس، لأن الخَرِبَ نعت الجُحْر والجحرُ رفعٌ، ولكن بعض العرب يجره... لأنه نكرة كالضب، ولأنه فى موضع يقع فيه نعتُ الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد... فانجرّ الخَرِبُ على الضبّ"[٨٨].

ويتجلى الإتباع على المجاورة فى قول الشاعر:

أُفُطَيْمَ هَلْ تَدْرِينَ كم مِنْ مَتْلِفٍ جَاوَزْتُ لا مَرْعًى ولا مَسْكُونِ

لم يَعْلُهُ مَطَرٌ ولم يُنْبَطْ بهِ مَاءٌ يَجِمُّ لحافرٍ مَعْيُونِ[٨٩]

فقوله (معيون) مجرور على الجوار، إذ رده على الحافر، والأصل: (ماء معيون)، أى: ماء ظاهر.

سابعاً: الإتباع فى الضمائر والحركات والحروف:

امتدت ظاهرة الإتباع متجاوزة إطار ما يكون بين كلمتين، تأتى ثانيتهما على وزن الأولى تأكيداً لها، ومتخطية حدود الإتباع النحوى الذى ينبنى على إتباع كلمة تالية نظيرتها السابقة فى الإعراب.... إلى الإتباع فى الضمائر والحركات والحروف. وكانت الغاية من وراء تحقق هذه الظاهرة فيها الرغبةَ فى إحداث التجانس، وعدم الانتقال من حركة إلى أخرى قد تكون متضادة معها، مما يؤدى إلى السهولة فى النطق واليسر فى التلفظ.

ومن ذلك ما يكون فى هاء الضمير التى تُضَمُّ إذا كانت بعد فتحة، نحو كأَنَّهُ، أو بعد ضمة، نحو: كتابُهُ، أو بعد سكون، نحو: عنْهُ، إلا أن هذه الهاء يجوز كسرها فى موضعين "بعد الياء، نحو: عليهم وأيديهم، وبعد الكسر، نحو: ﴿ بِهِۦ وَبِدَارِهِ ﴾ (القصص: ٨١). وضمها فى الموضعين جائز، لأنه الأصل، وإنما كُسِرتْ لِتجانس ما قبلها من الياء والكسرة"[٩٠]. ويناقش سيبويه هذه القضية فى (باب ما تكسر فيه الهاء التى هى علامة الإضمار)، ويُرجع علة كسر هذه الهاء، إذا كان قبلها ياءٌ أو كسرة، لخفتها، ولأنها من حروف الزيادة، وأنهم كما أمالوا الألف فى بعض المواضع كذلك كسروا هذه الهاء. ويلاحظ أن كسر الهاء، إتباعاً لما قبلها، إنما كان بلا فاصل يفصل بين الحرفين، على "أن قوماً من ربيعة يقولون مِنْهِمْ، اتبعوها الكسرة ولم يكن المسكَّنُ حاجزاً حصيناً عندهم. وهذه لغة رديئة، إذا فصلتَ بين الهاء والكسرة فالزم الأصل، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز بينهما، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة"[٩١]. وقد يتم الإتباع بين حرفين بينهما حاجز، كما فى قول الشاعر:

ألاَ رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذِى وَلَدٍ لَمْ يَلْـــدَهُ أَبَوَانِ[٩٢]

إذْ فتحت الدال فى (يَلْدَهُ)، إتباعاً لحركة الياء، مع تسكين اللام. ويجوز (يَلْدُهُ)، بضم الدال إتباعا لضمة الهاء، والأصل (لم يَلِدْهُ)[٩٣].

ومن الإتباع: إتباع الأول للآخر، كما فى المرء، إذ تفتح الميم فى (مَرْء) فى الرفع والنصب والجر، فيقال هذا مَرْءٌ، ورأيتُ مَرْءاً، ومررتُ بمَرْءٍ، وهو القياس. على أنه يجوز إتباع الميم الهمزة، فتضم الميم فى الرفع، وتفتح فى النصب، وتكسر فى الجر، تماما كما يفعلون فى راء الكلمة إذا دخلت عليها ألف الوصل، فتقول: هذا امْرُؤٌ، رأيتُ امْرَأً، مررتُ بامرئٍ، فيكون (امرُؤٌ) مُعْرَباً "من الراء والهمزة، وإنما أُعرب من مكانين، والإعراب الواحد يكفى من الإعرابين، لأن آخره همزة، والهمزة قد تترك فى كثير من الكلام، فكرهوا أن يفتحوا الراء ويتركوا الهمزة، فيقولون: امْرَوْ، فتكون الراء مفتوحة والواو ساكنة، فلا يكون فى الكلمة علامة للرفع، فعرَّبُوه من الراء ليكونوا إذا تركوا الهمزة، آمنين من سقوط الإعراب"[٩٤].

ويشبه هذا (ابنُمُ) – بزيادة الميم على (ابن) للمبالغة والتوكيد – إذ يتبع الأول الآخر، فيقال: هذا ابْنُمُكَ، ورأيتُ ابْنَمَكَ، ومررتُ بابْنِمِكَ، تبعت النونُ الميم فى الإعراب، وهو ما يقال عنه أيضاً الإعراب من مكانين[٩٥].

فالإتباع – هنا – قائم على الموالاة بين الحركات فى الكلمة الواحدة، فالضمة يليها ضمة، والفتحة يتبعها أخرى، والكسرة يجئ بعدها كسرة مناظرة لها. وكان المحرك الأساسى فى هذا الإتباع قائماً على عدم الانتقال من حركة إلى أخرى، مما قد ينجر عنه ثقل فى النطق. ولم يكن يغيب عن الذهن خفةُ الحركة أو ثقلها، فالألف خفيفة، بل أخف الحركات، والكسرة ثقيلة، والضمة أثقل من الكسرة.

وقد يتبع الثانى الأولَ، وهو الأكثر، كما فى: مُدُّ، وفِرِّ، وضَنَّ[٩٦]، وهى أفعال أمر. كما قد يتبع الأولُ الثانى، كما فى أُقْتُل، "وإنما كان كذلك لأن تقدم السبب أولى من تقدم المسبَّب، لأنهما يجريان مَجرى العلة والمعلول، وعلى أن ضمة الهمزة فى نحو: أُقْتُل، لا تعتد، لأن الوصل يزيلها؛ فإنما هى عارضة، وحركة نحو: مُدُّ، وفِرِّ، وعَضَّ، ثابتة مستمرة فى الوصل، الذى هو العِيار، وبه الاعتبار"[٩٧]. وأصل (مُدُّ)، مثلاً: امْدُدْ، فحدث إدغام، وألقيت ضمة الدال الأولى على الميم، فالتقت الدالان ساكنتين فى التقدير، فحركوا الدال الثانية بالضم إتباعاً، وحذفوا همزة الوصل[٩٨].

وقد يكون الإتباع بتغيير حركة الحرف الأول من الكلمة لتماثل حركة الحرف الثانى، والهدف عدم الانتقال من حركة إلى أخرى مناقضة لها، ويكون ذلك عن طريق "تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق، نحو: شِعِير، وبِعِير، ورِغِيف"[٩٩]. وقد يتمثل الإتباع فى فتح الحرف الحلقى فى نحو (يعدو)، و(مَحَموم)، بفتح الحاء، إذ روى عن البعض "تحريك الحرف الحلقى بالفتح إذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين، نحو قول كُثَيِّر:

له نَعَلٌ لا تَطَّبى الكلبَ ريحُها وإن جُعِلت وَسْطَ المجالسِ شُمَّتِ[١٠٠]

إذ حَرَّك (العين) فى (نَعَل)، وهى فى الأصل ساكنة، لا نفتاح ما قبلها.

وقد يكون التغيير فى الأحرف غير الحلقية، كما فى قول الشاعر:

إذا تَجَرَّد نَوْحٌ قامتا مَعَهُ ضَرْبًا أليماً بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدَا[١٠١]

فحرَكت اللام فى (الجلد)، وأصلها ساكن، إتباعا لحركة الجيم المكسورة.

ومن الإتباع ما كان فى المَثَل: (أنْكَحْنَا الفَرا فَسَنَرَى)، والفرا: الفَرَأُ، بالهمزة: حمار الوحش، وجمعه فِراءٌ، وبُنى المَثَلُ "على التخفيف البدلى مُوافقةً لسنرى، لأنه مَثَلٌ والأمثال موضوعة على الوقف، فلما سُكِّنت الهمزة أبدلت ألفاً لانفتاح ما قبلها"[١٠٢].

ومن إتباع السابق للاحق ما يكون فى قولهم: (شِهْد)، بتسكين الهاء؛ إذ كسرت الشين إتباعاً لكسرة الهاء، ثم سكنت الهاء، إلا أن الشين ظلت مكسورة. كذلك قالوا: "مِغِيرةٌ ومِعِينٌ.... ولكنهم أتبعوا الكسرةَ الكسرةَ، كما قالوا: مِنْتِنٌ وأنْبُؤُك وأجُوءُك، يريد: أجِيئُك وأُنَبِئُكَ"[١٠٣]. ويشبه هذا قولهم: "هذا عِدِل وفِسِل، فأتبعوها الكسرة الأولى، ولم يفعلوا ما فعلوا بالأول؛ لأنه ليس من كلامهم فعل، فشبهوها بمنتن، أتبعوها الأول"[١٠٤].

وقد يتم الإتباع بتحريك الحرف الساكن فى الكلمة، إتباعاً لحركة الحرف الذى قبله، ويتبدى ذلك فى جمع المؤنث السالم، كما فى نَشْرة، ورَكْعة، وقَصْعة، وجَفْنة، والجمع نَشَرَات، ورَكَعَات، وقَصَعَات، وجَفَنَات. فكأنه كُرِه الوقوف بعد الفتح

بالسكون، فحرك الحرف الثانى للانتقال من فتح إلى فتح. ومنه قول الشاعر المجنون:

بالله يَا ظَبْيَاتِ القـاع قُلنَ لَنـَا لَيْلاَى منكم أم ليلى من البَشَرِ[١٠٥]

كذلك قد يكسر الحرف الثانى إتباعا لكسرة الحرف الأول، ولذا "كثر عنهم توالى الكسرتين فى نحو: سِدِرات، وكِسِرات"[١٠٦]؛ إذ لما كان أول الكلمة مكسوراً فقد حرك الثانى بالكسر، وهو ما يكون أيضاً فى نِعْمة وفِقْرة، والجمع: نِعِمات وفِقِرات.

ويكون الإتباع جائزاً إذا كان أول الكلمة مضموماً، مثل (غُرْفة)، وتجمع على (غُرُفات)، كما فى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ (سبأ: ٣٧).

ويبدوا الإتباع أيضاً فى كلمة (القِسِىّ) جمع (القوس)، وقياس الجمع: (القِياس) مثل: ثوب وثياب، إلا أنهم جمعوا اللفظ على فُعُول، أى (قُوُوس)، فاستثقل، فقُدمت اللام على العين، فصار إلى قُسُوو، بوزن فُلُوع، فأبدلت ضمة السين كسرة، فانقلبت الواو الأولى ياءً فصار إلى قُسِيو، ثم قلبت الواو ياءً وأُدغمت فيها الياء فصار إلى قْسِىّ، ثم كسرت القاف إتباعاً لكسرة السين، فقالوا: قِسِىّ بوزن فِلِيع[١٠٧]. ومثل ذلك ما كان فى (سيِّد) و (ميِّت)، والأصل: (سَيْود) و(ميوت): إذ أُبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء.

وقد يتم الإتباع بزيادة حرف على الكلمة الثانية كى تُزاوج نظيرتها الأولى، كما فى قولهم: (لكل سَاقِطَةٍ لا قِطَةٌ): إذْ زيدت الهاء فى (لاقطة) لازدواج الكلام[١٠٨].

ويقولون: (سيف هُنْدُوانى)، بضم الهاء إتباعاً لضمة الدال، وإن شاءوا لم يتبعوا فتكسر الهاء.

كذلك قد تَقْلِبُ الفتحةُ الواو والياء المتحركتين الفاً، كما فى: قام، وباع، وخاف. والأصل فيها: قَوَمَ، وبَيَعَ، وخَوَفَ، "فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة، وهى الفتحة، والواو أو الياء، وحركة الواو والياء، كُرِه اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة،

فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تُؤْمَنُ فيه الحركة، وهو الألف، وسوَّغَها أيضاً انفتاح ما قبلها"[١٠٩]. كما قد تقلب الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها، فيقولون: إن أصل آية: أَيَة، "فقُلبت الياء الأولى ألفاً لانفتاح ما قبلها. وقالوا: أرضٌ داويَة، منسوبة إلى الدَّوِّ، وأصلها دوَّية، فقلبت الواو الأولى الساكنة الفاً لانفتاح ما قبلها"[١١٠].

وتتصل الإمالة – بوجه ما – بظاهرة الإتباع، والإمالة هى "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء"[١١١]، فتمال الألف فى (خاتِم)؛ لأن بعدها كسرة، وتمال الألف فى (حِسَاب)، لوقوعها بعد حرف ورَدَ بعد نظير له مكسور. وقد دخلت الإمالةُ الكلام "طلباً للتشاكل، لئلا تختلف الأصوات فتتنافر، وهى تختص بلغة أهل الحجاز ومن جاورهم من بنى تميم وغيرهم"[١١٢].

* * *

النتائـج

نستطيع أن نخلص من هذا البحث إلى النتائج التالية :

١- أن الإتباع يعنى أن تَرِدَ كلمة على مثال كلمة سابقة عليها وعلى وزنها وروِيِّها بهدف التأكيد، مع وجوب أن يكون اللفظ الثانى بمعنى الأول. ويكون الإتباع بغير واوٍ، خلافاً للبعض الذى جَوَّزَ أن يجئ بالواو. وتتحقق هذه الظاهرة بإيراد كلمة واحدة بعد الكلمة المتبوعة، أو كلمتين، أو أكثر من كلمتين.

٢- أن الإتباع يختلف عن الترادف الذى لا يشترط فيه أن يأتى اللفظان المترادفان على وزن واحد؛ ويكون فيه اللفظ الثانى أيضاً ذا معنى مستقل بذاته، بحيث يمكن أن يجئ منفصلاً عن سابقه.

٣- أنه ليس للإتباع صورة واحدة، فقد ينبنى على الوصف الذى قد يكون إيجابياً، كما قد يكون سلبياً. وقد يقوم على الفعل، كما قد يعتمد على المصدر المنصوب بفعل محذوف. ومن صوره كذلك تكرار النفى، إضافة إلى اعتماده على الدعاء بذكر الفعل.

٤- أن الحرص على تحقيق التوافق والتناغم بين التابع والمتبوع من الألفاظ أدى إلى إيراد ألفاظ تُعَدُّ لغات فيها، ومن ذلك أنها إذا قالوا: (كثير)، ورغبوا فى الإتباع، لا يقولون: (بجيل)، وهو العظيم، بل يقولون: (بجير)، لغة فى (بجيل).

٥- أن العناية بهذه الظاهرة تجلت فى تغيير بناء الكلمة التابعة من أجل تحقيق المواءمة بين اللفظين، التابع والمتبوع، وإحداث التجانس بينهما، كأن يقولون: خبيث نبيث، وكان القياس: خبيث نابث.

٦- أن الاهتمام بإحداث المجانسة والتوافق بين الألفاظ فى القرآن الكريم قد ظهر فى تغيير حركة حرف لتماثل حركة حرف آخر، كما فى "الحَمْدُ لله"، بضم اللام إتباعاً لضمة الدال، وكذا فى (الحمدِ لِلَّـه)، بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام.

٧- يبدو الإتباع كذلك فى الضمائر والحركات والحروف، كما فى كسر (الهاء) بعد (الياء) فى (عليهم)، وبعد الكسر فى (به)، وكان الكسر كى تجانس ما قبلها من الياء والكسرة. ويتضح هذا أيضاً فى (ابنم)، فيقولون: هذا ابْنُمُكَ. رأيتُ ابْنَمَكَ. مررتُ بِابْنِمِكَ، فتتبع النونُ الميمَ فى الإعراب. ويضاف إلى ذلك ما يكون من تغيير حركة حرف لتماثل حركة حرف آخر، فيقولون: (شِعِير، ورِغِيف). و(نَشَرَات، وَرَكَعَات).

٨- أن الإتباع النحوى لا ينفصل عن الإتباع بعامة؛ إذْ يقوم الإتباع فى النحو على إتباع اللفظ الثانى الأول فى الإعراب.

٩- أنه ليس ثمة إجماع بين اللغويين على اللفظ الثانى التابع الذى يجئ بعد مثيله المتبوع؛ فبينما رأى البعض أن هذا يعد إتباعاً، قال آخرون: إنه ليس بإتباع، ومن ذلك قولهم: (رجلٌ هاعٌ لاعٌ) أى جبان، إذ قال بعضهم: إن قولهم (لاع) لا يعد إتباعاً، وعلة ذلك – فى رأيهم – إمكانية إفراده وجواز مجيئه مستقلاً عن (هاع)، وكذلك (يباب) فى قولهم: (خراب يباب)، فهو إتباع عند البعض، وليس إتباعاً عند آخرين لإفراده.

* * *

الهوامش

(١) الكليات. ص٣٥.
(٢) الإتباع والمزاوجة. ص٢٨، وانظر: الفائق فى غريب الحديث: ٣/ ٣٢٦.
(٣) غريب الحديث للهروى: ٥/ ٣٢.
(٤) السابق: ٥/ ٣٢.
(٥) السابق: ٥/ ٣٣.
(٦) لسان العرب: نوع.
(٧) أمالى القالى: ٢/ ٢٠٨.
(٨) السابق ٢/ ٢١٤، ٢١٥.
(٩) الرغم الكره. ودَغَم أنفَه: كَسَرهُ، والرَّجل الشَّغم والشِّنَّغْم: الحريص. وحُكى: (رَغْماً دَغْماً شَغْماً).
(١٠) "الشُّبْرُمُ: حَب يشبه الحِمَّصَ يطبخ ويشرب ماؤه للتداوى، وقيل: إنه نوع من الشيح". لسان العرب: شبرم.
(١١) "السَّنَا: نبت يُتَدَاوَى به". السابق: سنا.
(١٢) الفائق فى غريب الحديث: ٢/ ٢١٩.
(١٣) المزهر: ١/ ٤١٥.
(١٤) أمالى القالى: ٢/ ٢١٤.
(١٥) السابق: ٢/ ٢١٠، ٢١٣.
(١٦) انظر: المخصص: ٤/ ٢١٥.
(١٧) أمالى القالى: ٢/ ٢١٢.
(١٨) الإتباع لأبى الطيب. ص٦٨.
(١٩) لسان العرب: غمر.
(٢٠) غريب الحديث للهروى: ٥/ ٣٢.
(٢١) السابق: ٥/ ٣٣.
(٢٢) الفائق فى غريب الحديث: ١/ ١٢٩.
(٢٣) السابق: ٣/ ٤٠٣.
(٢٤) انظر: تاج العروس: شقح: ٤/ ١٠٦، والمخصص: ١/ ٢٣٣.
(٢٥) الإتباع لأبى الطيب. ص٨٢.

obeikandl.com

(٢٦) لسان العرب: لوع.
(٢٧) السابق: هيع.
(٢٨) الإتباع والمزاوجة. ص٥٤.
(٢٩) الصحاح: أرض: ٣/ ١٠٦٤.
(٣٠) البيت بلا نسبة فى تاج العروس: يعر: ٧/ ٦٤٢، ويعر: يصيح: واليُعار: صوت الماعز أو صوت الغنم. ومعنى الشطر الثانى: بات يُسقِّينا لبنا مَذِيقاً كأنه بطون الثعالب.
(٣١) المخصص: ٤/ ٢١٥، والأريضة: المُخْصِبة. والمحلال: المختارة للنزول. والبيت فى ديوان الأخطل: ١/ ١٤٥.
(٣٢) البدى. موضع. والأريض: المكان الخليق للخير. وعريضة: واسعة. والبيتان فى ديوانه. ص٧٣.
(٣٣) انظر: أمالى القالى: ٢/ ٢١٠.
(٣٤) المخصص: ٤/ ٢١٥.
(٣٥) انظر: الإتباع لأبى الطيب. ص٢٩.
(٣٦) لسان العرب. فكك.
(٣٧) السابق: معد.
(٣٨) انظر: الصحاح: يبب: ١/ ٢٤٠.
(٣٩) الإتباع والمزاوجة. ص٢٩.
(٤٠) الدقق: جمع الدقة: التراب الذى تذرّه الرياح. والعراص جمع عَرْصة: بقعة بين الدور ليس فيها بناء. ويباب: خراب. والبيت فى ديوانه. ص٧٣.
(٤١) مجالس ثعلب: ١/ ٢٧. وحَصَرنى الشئ وأحصرنى: حبسنى، والشُّغُول: ما يشغل الإنسان، والمفرد: (الشَّغْل) و(الشَّغَل) والشُّغُل) و(الشُّغْل)، ويجمع أيضاً على أشغال. والبيتان فى ديوان ابن ميادة. ص١٨٧. وثمة إقواء فى البيت الثانى، والإقواء: اختلاف حركات الرّوِى. ويروى فى لسان العرب: نجح: (شغولى) بدل (شغول). و(نجيحة) بدل (نحيحة)، ونحيحة، أى: صابرة.
(٤٢) تاج العروس: نحح: ٤/ ٢٢٧.
(٤٣) الإتباع لأبى الطيب، ص٩٤.
(٤٤) السابق. ص٨، ٩، ٧٧.
(٤٥) السابق: ٢/ ٢٠٩.
(٤٦) انظر: لسان العرب: نبت.
(٤٧) البيت فى ديوانه. ص٨٢، والأصمعيات. ص٨٦.
(٤٨) المخصص: ١/ ٢٩٨.
(٤٩) يقال: "بَس السَّويق والدقيق وغيرهما يَبُسه بَسّا: خَلَطَهُ بسمن أو زيت". لسان العرب: بسس.
(٥٠) أمالى القالى: ٢/ ٢١٧.
(٥١) الفائق فى غريب الحديث: ١/ ١٥٢، ١٥٣.

(٥٢) والمعنى أنه لم يترك شيئاً دعته إليه نفسه من المعاصى والشهوات إلا فَعَلَهُ.
(٥٣) الصحاح: دجج: ١/ ٣١٣.
(٥٤) السابق: دجج: ١/ ٣١٣. ويروى الحديث بالتشديد، وفيه أن الرجل قال للنبى صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله، ما تركت من حاجَّة ولا داجَّة إلا أتيت، قال: أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: بلى، قال: فإن هذا بذاك". الفائق فى غريب الحديث: ١/ ٤٤٢. ويقصد بالحاجّة والدّاجّة: الجماعة الحاجّة والداجّة، إذ رُوى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه رأى قوماً فى الحج لهم هيئة أنكرها، فقال: هؤلاء الداجُّ وليسوا بالحاجِّ. انظر: السابق: ١/ ٤١٢،. والحاجّ: الذين يحُجُّون، والداجُّ: مَنْ معهم من الأعوان والأُجراء.
وقيل: إن الداجةَ الحاجةُ نفسها، والتكرار لاختلاف اللفظين، وقال آخرون: الداجَة: ما صَغُر من الحوائج، والحاجَة: ما عظم منها، ويروى بتشديد الجيم. والداجَة أصلها دَوْجَة، والحاجَة أصلها حَوْجَة. انظر: لسان العرب: دجج. دوج، وغريب الحديث للهروى: ٥/ ٢٧٥.
(٥٥) لسان العرب: ميش.
(٥٦) الصحاح: مرأ: ١/ ٧٢.
(٥٧) الإتباع لأبى الطيب اللغوى. ص١١، وانظر: إصلاح المنطق. ص٣٧.
(٥٨) الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس.
(٥٩) قال بعضهم: إن "غَدِيّة مثل عَشِيّة لغة فى غَدْوَةٍ، كضَحِيّة لغة فى ضَحْوَة، فإذا كان كذلك فَغَدِيّة وغَدَايَا كَعَشِيّة وَعَشَايَا. قال ابن سيده: وعلى هذا لا تقول: إنهم كسَّروا الغدايا.. على الإتباع للعشايا، إنما كسَّروه على وجهه. لأن فَعِيلَة بابه أن يكسر على فعائل". لسان العرب غدا.
(٦٠) كتاب الصناعتين ص٢٨٦.
(٦١) انظر: لسان العرب: ليس.
(٦٢) أى الهموم القديمة والحديثة.
(٦٣) الصحاح: حدث ١/ ٢٧٨ .
(٦٤) السابق. نجس: ٢/ ٩٨١، وانظر: المزهر: ١/ ٣٤١.
(٦٥) لسان العرب: طمم. والطم والرم: الرطب واليابس، وقيل: الطم: البحر، والرم: الثرى، وقيل أيضاً: الطم والرم: الكثير والقليل.
(٦٦) المزهر: ١/ ٣٤١.
(٦٧) والقطاة: العَجُز: واللطاة: الجبهة. ويضرب مثلاً للرجل الأحمق لا يعرف قُبُلهُ من دُبُره. انظر: لسان العرب: قطا، لطا.
(٦٨) البيان فى غريب إعراب القرآن: ١/ ٢٦٣، ٢٦٤، وانظر: المزهر: ١/ ٣٣٩.
(٦٩) المزهر: ١/ ٣٣٩.
(٧٠) انظر: الإتقان فى علوم القرآن: ٢/ ٩٣١، وتأويل مشكل القرآن. ص٢٧٧.
(٧١) التبيان فى إعراب القرآن: ١/ ٥. و(الحمدِ لله) بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام هى قراءة زيد بن على والحسن البصرى. انظر المحتسب: ١/ ٣٧.

(٧٢) السابق: ١/ ٥.

(٧٣) المحتسب. ١/ ٣٧.

(٧٤) السابق. ١/ ٣٧، ٣٨.

(٧٥) انظر: أمالى ابن الشجرى: ٢/ ٣٧٨، وكتاب السبعة فى القراءات ص٣٤٨.

(٧٦) أمالى ابن الشجرى: ١/ ١٢٥، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ١/ ٤٠٣.

وقد "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالتخفيف وكسر الضاد، وقرأ الباقون بالتشديد وضم الضاد والراء". إعراب القراءات السبع وعللها: ١/ ١١٨.

(٧٧) أى أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه.

(٧٨) وهو النهى والاستفهام.

(٧٩) ويجوز نصبه على الاستثناء.

(٨٠) وهو بدل بعض من كل.

(٨١) إعراب القراءات السبع وعللها: ١/ ٢٩٢.

(٨٢) همع الهوامع: ٣/ ٢٥٤ .

(٨٣) وهو ما لم يكن المستثنى من جنس المستثنى منه.

(٨٤) واللغة العُليا النصب.

(٨٥) الرجز لعامر بن الحارث، المعروف بجران العود، والرواية فى الديوان:

قد ندَعُ المنـزلَ يا لميـسُ يعتس فيه السَّبُعُ الجروسُ
الذئبُ أو ذو لبَدٍ هموسُ بسابساً ليس به أنيـسُ
إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ وبقـرٌ ملمَّـعٌ كُنُـوسُ

و(لميس): اسم امرأة. واللميس: المرأة اللينة الملمس. والجروس: المصوّت: مأخوذ من الجرس، وهو الصوت. وذو لبد: الأسد. والبسابس: جمع بَسْبَس، وهو القفر. واليعافير: جمع يعفور، بفتح الياء أو بضمها، وهو الظبى فى لون التراب. وملمع: فيه لُـمَعُ بياضٍ وسوادٍ. وكنوس: داخلة فى كُنُسها، والكُنُس: جمع كِناس: وهو بيت الظبى فى الشجر. انظر: ديوانه. ص٥٢ .

(٨٦) الكتاب: ٢/ ٣١٥

(٨٧) السابق: ٢/ ٣٤٤.

(٨٨) السابق: ١/ ٤٣٦.

(٨٩) متلف: طريق يتلف الناس فيه. ولا مرعى: لا رعى فيه. ولا مسكون: لا يُسكَن. ويجم: يجتمع. والحافر: الذى يَحْفِر. والبيتان لبدر بن عامر الهذلى، فى شرح أشعار الهذليين: ١/ ٤٠٨.

(٩٠) التبيان فى إعراب القرآن: ١/ ١١.

(٩١) الكتاب: ٤/ ١٩٥، ١٩٦.

(٩٢) البيت بلا نسبة فى الجنى الدانى. ص٤٤١، ومغنى اللبيب: ١/ ١٥٥.

(٩٣) انظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ١٨، وقد نسب البيت فيه لرجل من أزد السراة. ويريد بالمولود الذى ليس له أب: عيسى عليه السلام، وبمن لم يلده أبوان: آدم عليه السلام.

(٩٤) لسان العرب: مرأ.

وإذا كان اللفظ بألف الوصل كان فيه ثلاث لغات: فتح الراء على كل حال، فتقول: هذا امْرَؤٌ، ورأيت امْرَأً، ومررتُ بامْرَىءٍ. وضمها على كل حال، فتقول: هذا امْرُؤٌ، ورأيت امرُأً، ومررتُ بامْرُىءٍ. وإعرابها على كل حال، فتقول: هذا امْرُؤٌ، ورأيتُ امْرَأً، ومررتُ بامْرِىءٍ، معرباً من مكانين.

انظر: الصحاح: مرأ: ١/ ٧٢.

(٩٥) ويجوز أن يعرب من مكان واحد، فتقول: هذا ابْنَمُكَ، ورأيتُ ابْنَمَكَ، ومررت بابْنَمِكَ. فتكون النون مفتوحة دائماً، والإعراب على الميم.

(٩٦) الفعل (ضن يضن) – هنا – من باب علم.

(٩٧) الخصائص: ٣/ ١٨٢.

ويجوز فى أمر المضعف المسند إلى الضمير المستتر أمران: الإدغام، والفك، فتقول: غُضَّ، واغضض، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ (لقمان: ١٩). وبعض العرب تكسر، فتقول: غُضِّ.

(٩٨) انظر: أمالى ابن الشجرى: ٢/ ٣٧٦.

(٩٩) الخصائص: ٢/ ١٤٥.

(١٠٠) السابق: ٢/ ١١ : وأطباه: دعاه، والمعنى أن هذه النعل من جلد مدبوغ، فلا يطمع فيها الكلب.

(١٠١) النَّوْح: جماعة نائحةٍ. أى تهيأ نساء ينُحْنَ والنَّوح: النساء القيام. ويلعج: يُحْرِق. والسِّبت: النعل. والجِلِد: الجِلْد. والبيت لعبد مَنَاف بن رِبْعٍ الجُرَبى فى شرح أشعار الهذليين: ٢/ ٦٧٢.

(١٠٢) لسان العرب: فرأ. ويضرب المثل فى التحذير من سوء العاقبة. انظر: مجمع الأمثال: ٣/ ٣٧٦. والمخصص: ٢/ ٢٧٠.

(١٠٣) الكتاب: ٤/ ١٠٩ .

(١٠٤) السابق: ٤/ ١٧٣ .

(١٠٥) البيت فى ديوانه. ص ١٧٠ .

(١٠٦) الخصائص: ٣/ ١٨٦. وسِدِرات جمع سِدْرَة، وهى شجرة النَّبِق، وتجمع أيضاً على سِدْرات. وسِدَر، وسُدُر. والكِسرة: القطعة من الشئ المكسور، وتجمع أيضاً على كِسَرٍ.

(١٠٧) انظر: أمالى ابن الشجرى: ٢/ ٤٧٢.

(١٠٨) والساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان: وقيل إن الهاء فى (لاقطة) للمبالغة. انظر: مجمع الأمثال: ٣ / ١١٥.

(١٠٩) سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٥.

(١١٠) السابق: ١/ ٢٦. والدَّوُّ: الفلاة الواسعة، أو المستوى من الأرض.

(١١١) أسرار العربية ص٤٠٦.

(١١٢) السابق. ص٤٠٦.